مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 08 العدد: 01 جانفي (2024) ص 191 / 200

الوظائف الحجاجية للتكرار في البلاغة العربية

(الحديث النبوي أنموذجا)

The argumentation functional's of repetition

In Arabic rhetorical

فريدة رمضاني*

جامعة علي لونيسي –البليدة2- (الجزائر)

tadaouli@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/10./21
تاريخ القبول:
2024/01 /15

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحجاج:
- ✓ التكرار:
- ✓ الوظائف:

الملخص:

يضطلع التكرار في البلاغة العربية بالعديد من الوظائف الحجاجية، وكل وظيفة له فيها تتحدد حسب العلاقات الدلالية التي ترد في السياق، غير أن الغالب الأعم في التكرار هي الوظيفة الإقناعية التي تأخذ أشكالا و أبعادا مختلفة حسب لون الخطاب.

و بعد البحث المتواصل وجدنا أن الحديث النبوي الشريف هو أثرى مدونة يمكن أن نفتش فيها عن مكونات حجاجية التكرار و هذا ما ستبحث فيه هذه الورقة البحثية.

.

Article info

Received
21/ 10/ 2022
Accepted
15/ 01/ 2024

Keywords:
- ✓ *Argumentation:*
- ✓ *Repetition:*
- ✓ *Function:*

Abstract :

Repetition is undertaken a lot of argumentation function's; in Arabic rhetoric, and every function therein is determined by semantic relation's contained in the context however, the most often in the repetition is the persuasive function's that takes different forms and dimentions depending on the type of discourse, after continuous search; we found that prophetic rhetoric is the richest corpus that we can search in it about

• المؤلف المرسل

argumentation repetition's component, that's what this paper is looking for.

1. مقدمة:

تعد البلاغة أعلى طبقات اللغة في علوم العربية؛ فتأثير البيان في النفس يصعد من الصوت إلى التركيب و لكنه يستبطن في العقل الذي يتأثر بألوان من الصور البلاغية و من بين ما بلغ مكامن النفس حجاجية التكرار_الوارد في البلاغة العربية_ الذي فاق تأثيره و تميزه كل التصورات في الخطابة النبوية.

إن الناظر في التراث البلاغي العربي يلاحظ أن التكرار في الخطابة النبوية قد أضمر كل الادعاءات التي تتابعت بخصوص وجود هذه الظاهرة المتفردة من عدمها؛ الأمر جعل أنظار المتخصصين في البلاغة المعاصرة تتجه نحو البحث عن الوظائف الحجاجية للتكرار في البلاغة القديمة انطلاقا من البلاغة البرهانية وصولا إلى البلاغة التأويلية والهدف المتوخى من ذلك هو الاضطلاع بوظيفة التكرار و تأكيد تقاطعه مع الحجاج الذي قطع فيه الدارسون أشواطا طويلة في الوعي بأبعاده من الوجهة الخطابية الإقناعية و الإشكالية التي تطرحها هذه الورقة العلمية هي ما الوظائف الحجاجية التي تتضمنها الأحاديث النبوية الشريفة؟ و ما أغراضها الإقناعية؟ منطلقين من فرضية مفادها أن الوظائف الحجاجية تبدأ من المستوى الأدنى إلى الأعلى في اللغة، و المنهج المناسب للكشف عن مدى صحة هذه الفرضية هو المنهج التداولي الذي يناسب الموضوع الذي أساسه الحجاج و هو مبحث تداولي بامتياز.

2.الحجاج في البلاغة العربية:

1.2. الحجاج لغة:

لقد تنوعت معاني المادة المعجمية للفظ الحجاج نظرا لتعدد المجالات التي ينتمي إليها فهو يدخل في فن الخطابة و علم البلاغة كما أنه يتقاطع مع باقي العلوم التداولية؛ ودون الخوض في تفاصيل هذه الدلالات المختلفة تتبعنا مادة "حجج" في المعاجم العربية وخلصنا إلى أنها تعني الضفر بالإقناع في الجدال حال الخصومة كما أنها تدل على البرهان و الدليل إذ يقول "ابن منظور" في ذات السياق: "حاججته أحاجة حجاجا ومحاجة حتى حججته؛ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها...و الحجة: البرهان؛ و قيل الحجة ما دوفع به الخصم، و قال "الأزهري": "الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، و هو رجل محجاج أي جدل. و التحاج: التخاصم؛ و جمع الحجة: حجج وحجاج، و حاجه ومحاجة و حجاجا: نازعه الحجة...و احتج بالشيء: اتخذه حجة."(ابن منظور، د.ت، مادة ح ج ج)

إن أبرز ما يشد النظر فيما أورده "معجم لسان العرب" هو ذلك التعدد الدلالي للفظ الحجاج فتارة يكون دالا على البرهان و أخرى على الجدل و المعاني كثيرة لا يمكن أن يسعها المقام حيث أورد "ابن منظور" مادة "حجج" للدلالة على الجدل يقول:" اللدد في الخصومة و القدرة عليها، و قد جادله مجادلة و جدالا...و يقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته، و رجل جدل إذا كان أقوى في الخصام... و الجدل: مقابلة الحجة بالحجة."(ابن منظور، د.ت، مادة ج د ل)

زيادة على ما جاء في "معجم لسان العرب" "لابن منظور" فإن الحجاج يلتصق بحمولات دلالية أخرى؛ و ما ينبغي أن نلتفت إليه ههنا هي تلكم العلاقة التي أجملت في معاجم لغوية أخرى لدلالة على الجدل الذي هو أضيق من أن يتصف به الحجاج فهو أوسع من ذلك بكثير، و الدليل على ذلك ما أورده المفسرون للفظ الحجاج الذي ذكر في غير ما موضع من القرآن الكريم؛

إذ المجادلة تعني:" مفاعلة من الجدل و هو القدرة على الخصام و الحجة فيه، و هي المنازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، و منه سمي علم قواعد المناظرة و الاحتجاج في الفقه علم الجدل،... و لم يسمع للجدل فعل مجرد أصلي، والمسموع منه جادل لأن الخصام أحيانا يدل عل الجدال، وقد ذكر "ابن فارس" أن الجدل:" الجيم و الدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، و امتداد الخصومة و مراجعة الكلام." (ابن عاشور،1984،ص 31-32)

2.2. الحجاج اصطلاحا:

يعج التراث البلاغي عند العرب بمصطلح الحجاج و هو موجود في كل كتب البلاغيين القدامى أمثال "الجاحظ" و"السكاكي" و "الجرجاني" و القائمة طويلة، و ليس الأمر بغريب؛ لأن المخاطب في التواصل لا ينفك عن الحجاج و قد أشار "الجاحظ" لهذه القضية في كتابه الشهير "البيان و التبيين" حيث أظهر فيه الارتباط الوثيق بين الحجاج والبيان الذي هو:" اسم جامع لكل شيء كشف عن قناع، و هتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، و يهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، و من أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر و الغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم و الإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع." (عبد السلام،1998،ص 76)

إن ما أورده "الجاحظ" في معاني البيان يدرأ كل التصورات التي تذهب إلى وصل الحجاج بالمفاهيم الاصطلاحية البعيدة عن البلاغة و البيان؛ فالغاية مما سبق ذكره هو مقاربة هذه المصطلحات بعضها مع بعض، و يبدو أن اهتمام "الجاحظ" بالقرآن الكريم واستقرائه للفظ الحجاج_ في مختلف السياقات التي ورد فيها_ هو الذي أفضى إلى عده وجها من أوجه البيان، من خلال إبرازه للعلاقة بين الحجاج و البيان.

الواضح من خلال الحديث عن مصطلح الحجاج عند أشهر البلاغيين هو تلك الصفة التي لازمته فهي تكاد تكون متطابقة عند أغلب من عرف البيان أو البلاغة فالسكاكي مثلا يرى أن البيان ذو طبيعة حجاجية حيث تبين لنا من تعريفه لذات المفهوم الذي يقصد به :"معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان." (السكاكي،2000، ص162)

و بناء عليه فالبيان هو الاستدلال الذي يختصر في الحجاج حيث تتعدد مقاماته في نظر "السكاكي" الذي يخاطب القارئ فيقول:" لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، و مقام المدح يباين مقام الذم...و مقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب، و كذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، و لكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر."(السكاكي، 2000، ص 256)

و حسب رأيينا؛ فإن وسائل معرفة مصطلح الحجاج لا يمكن حصرها في بضعة أسطر فالتراث العربي غني و ثري و من المستحيل اختصاره في هذه الورقة البحثية الموجزة؛ وعليه بناء على ما سبق يتجلى للقارئ أو السامع قيمة مصطلح الحجاج و ما يتضمنه من وظائف و أدوار لا تخفى على الدارس الذي يبحث عن فوائده في البلاغة واللغة بصفة عامة؛ والتداولية باعتبارها المجال الوحيد الذي فتح باب الاشتغال على استراتيجيات الحجاج و الغوص في أبعاده المختلفة، إذ حاولنا قدر المستطاع إظهار أشكاله في الخطاب و هذا ما استثمرت فيه هذه المداخلة التي كانت ترمي إلى معالجة قضايا التكرار في الحجاج

كما أرادت الخوض في ارتباطاته الوثيقة بالمباحث البلاغية الأخرى التي انتقينا منها تصور التكرار الذي يعد مبحثا حجاجيا بامتياز و فيما يأتي سنتناول مفهوم التكرار من المنظور الحجاجي في البلاغة العربية.

3.المنظور الحجاجي للتكرار في البلاغة العربية:

يعد التكرار من أهم المباحث البلاغية التي استجلت كنه الحجاج و خصوصياته في الخطاب؛ و العرب كغيرهم من الأمم الأخرى بحثوا و فتشوا عن وظائف التكرار وأبعاده وظائفه من المنظور الحجاجي و الشواهد كثيرة في البلاغة العربية؛ و هذا ما ألفيناه في الخطابة النبوية التي أغرتنا بالبحث عن مواضع الحجاج في التكرار و الكشف عن سياقاته المختلفة في الخطابة النبوية على اعتبار أن الرسول ﷺ كان أفصح العرب إذ:" لا يتكلف القول، و لا يقصد إلى تزيينه، و لا ينبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة، و لا يجاوز به مقدار الإبلاغ في المعنى الذي يريده، ثم لا يعرض له في ذلك سقط و لا استكراه؛ ولا تستزله الفجاءة و ما يبده من أغراض الكلام." (الرافعي، 1973، ص282)

و هذا بالضبط ما استنتجناه أثناء رحلة بحثنا عن حجاجية التكرار في التراث العربي حيث تبين لنا اعتناء العرب بالبديع و الصنعة في النثر و الشعر أما فصاحته ﷺ :" فهي من السمت الذي لا يؤخذ فيه على حقه، و لا يتعلق بأسبابه متعلق، فإن العرب و إن هذبوا الكلام و حذقوه و بالغوا في إحكامه و تجويده، إلا أن ذلك قد كان منهم عن نظر متقدم، و روية مقصودة، و كان عن تكلف يستعان له بأسباب الإجادة التي تسمو إليها الفطرة اللغوية فيهم، فيشبه أن يكون القول مصنوعا مقدرا على أنهم مع ذلك لا يسلمون من عيوب الاستكراه و الزلل و الاضطراب، ومن حذف في موضع إطناب .. ومن كلمة غيرها أليق." (الرافعي، 1973، ص281)

إن الأدلة كثيرة عن بلاغة العرب و فصاحتهم و القدرة على الإبانة عن مرادهم بلغة أقل ما يقال عنها أنها عالية المنزلة لكن على الرغم من ذلك كانت الخطابة النبوية و لا تزال تبقى هي الأعلى و الأقدر و الأجدر بالدراسة و البحث و قد قال فيها "الجاحظ" هي:" الكلام الذي قل عدد حروفه، و كثر عدد معانيه، و جل عن الصنعة، و نزه عن التكلف...و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام هو مع استغنائه عن إعادته و قلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، و لا زلت له قدم، و لا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، و لا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، و لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم...ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا و لا أصدق لفظا...و لا أسهل مخرجا، و لا أفصح عن معناه، و لا أبين عن فحواه-من كلامه ﷺ." (الرافعي،1973، 282-283)

1.3. التكرار لغة:

ورد مفهوم التكرار في مجمل المعاجم العربية و على رأسها "لسان العرب" الذي قال:" الترداد و الترجيع من كر يكر كرا وتكرار، و الكر الرجوع على الشيء و منه التكرار، و كرر الشيء و كركره أعاده مرة بعد أخرى، و يقال كررت عليه الحديث وكركرته إذ رددته عليه." (ابن منظور، مادة ك ر ر)

إن التكرار هو إعادة الشيء مرات عديدة و مثال ذلك في اللغة إعادة الحرف واللفظ و التركيب و الدلالة و في هذا الصدد يقول "السجلماسي" بأنه: "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النوع، أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع، في القول مرتين فصاعدا، و هي اسم لمحمول يشابه به شيء في جوهره" (الجلماسي،1980، ص476) و لتكرار وظائف عدة حسب السياق والمقام فالمتكلم دائما يحاول مراعاة مقتضى الحال.

2.3.التكرار اصطلاحا:

أما حد التكرار في الاصطلاح فيذهب فيه البلاغيون مذاهب كثيرة منها :" أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى و المراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو الغرض من الأغراض،" (البغدادي، د.ت، ص 361) و الظاهر من الأمر أن العرب عرفوا التكرار و استخدموه في نثرهم و شعرهم.

لقد تعددت صور التكرار في البلاغة العربية و تباينت تفسيراتها من شكل إلى آخر فتارة تكون للتوبيخ و تارة تكون للتهديد و تارة تكون للتهويل و أخرى للتعظيم يقول "القزويني ":"علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته"؛ و من يلتفت إلى منظور البلاغيين للتكرار يجد أنهم احتفوا به احتفاء عظيما حيث أولوه عناية شديدة و الأمثلة على ذلك عديدة و يرجع ذلك إلى أسباب يبدو منها أن العرب كانت تستخدم التكرار في دواوينها للتأكيد أو زيادة المعنى و هذا ما قاله "السيوطي": "و من سنن العرب التكرير و الإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر." (السيوطي، 1998، ص 162)

3.3.حجاجية التكرار في الحديث النبوي:

عندما ننظر في الحديث النبوي بإمعان يتأكد لنا أن الرسول ﷺ أفصح العرب فخطابته من أعجب النثر حيث يستخدم فيها التكرار بطريقة مختلفة تماما عما نجده عند العرب قاطبة؛ و من ثمة جاءت فكرة دراسة حجاجية التكرار في الحديث النبوي حيث وجدنا أنها المدونة المناسبة لهذه الورقة العلمية؛ و من أجل بلوغ غايتنا خصصنا مساحة من البحث للكشف عن الوظائف المختلفة للتكرار في الحجاج و التي نذكر منها:

4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في الحديث النبوي:

لا شك أن التكرار في البلاغة العربية يضطلع بوظائف عديدة، و كل وظيفة تتحدد من خلالها سبل الحجاج من إقناع وإفحام و درء لحجج الخصم و هي كثيرة؛ فمنها ما يقترن بالتحذير المرتبط بالتعليل: "أما قيمة التكرار الحجاجية فتكمن في التأثير في المتلقي لتوصله إلى الإقناع بالقضية المطروحة...أي أن وظيفة التكرار تكمن في التأكيد على صحة رأي ما...فالتكرار وسيلة بلاغية يقصد بها تقوية الحجة عن طريق تأكيدها." (خرفي، 2014، ص 8)

لكي يبلغ أي خطاب مرتبة حجاجية عالية في السلم من حيث الإقناع و الاستدلال لابد من معرفة درجة حجاجية التكرار فالتجارب المميزة في تحليل الخطاب تؤكد أن التكرار ظاهرة تستحق العناية و تسترعي الاهتمام خاصة تلك التي توضع فيها الضوابط التي تحول دون هدم البناء التداولي في الحجاج:" فالتكرار-إذا أحسن استعماله- نجده يمثل قدرة عالية للتعبير عن المعاني و آدائها لذا ينبغي التقعد في استعماله." (خرفي، 2014، ص 9)

و الضابط الأساسي للتكرار هنا لا يعتمد على وظيفة واحدة كما أسلفنا- ذلك أننا لا نتلقى:" اللفظ في وتيرة واحدة أول الإلقاء و بعده، بل لنا في كل تردد نبر خاص و وتيرة خاصة و كأن اللفظ لا يكرر حقيقة، و إنما يعاد إخراجه مرة أخرى في ثوب جديد، إذ ليست مهمته-حين التردد-التنبيه أو الإخبار، بل مهمته حفر الاعتقاد الجديد في عمق النفس، و تمكين الأثر المتوخى فيها." (حبيب، 2005، ص71)

1.4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في الحرف:

تتمتع اللغة العربية عن غيرها من اللغات الأخرى بخاصية إيحائية حيث كان العرب يستعملون الأصوات التي توحي بتجانس صفاتها مع معاني الألفاظ و قد أفردت الكتب البلاغية فصولا هامة لهذه القضية ذلك أن:" الأصل في معنى الكلمة العربية هو ما أخذه العربي مباشرة عن الطبيعة سوقا للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد." (عباس، 1998، ص7)

و تكرير الحرف في اللفظ الواحد له خصوصية حجاجية بالإضافة إلى الاعتبارات الأخرى يروى عن النبي في ﷺ حديثه عند نزول الوحي:

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ الرسول ﷺ: "يَأْتِينِي أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَ هُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ . فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ الْمَلَكُ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلاً فَيُعَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ"، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيُفْصِمُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا." (الزبيدي، د.ت، ص 14-15)

يظهر لنا من خلال الحديث أعلاه تكرير حرف "الصاد" في قوله ﷺ صلصلة بالإضافة إلى حرف اللام، و حتى نتبين حجاجية هذين الحرفين المكررين بحثنا عن معنى كلمة "صلصلة" في معاجم اللغة؛ و قد ورت في مادة "صلل" حيث يقول "ابن منظور":" صل يصل صليلا و صلصل صلصلة و مصلصلا؛ قال: كأن صوت الصنج في مصلصلة ويجوز أن يكون موضعا للصلصلة، وصل اللجام: امتد صوته، فإن توهمت ترجيع صوت قلت صلصل و تصلصل؛ الليث: يقال صل اللجام إذا توهمت في صوته حكاية صوت صل، فإن توهمت ترجيعا قلت صلصل اللجام، وكذلك كل يابس يصلصل، و صلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف." (ابن منظور، مادة ص ل ل)

و بهذا يتضح لنا أن تكرار الأصوات في ذات اللفظ لم يكن اعتباطيا مثلما كنا نعتقد و التعبير بلفظ "صلصل" هو محاكاة لمعاني التكرير مثلما حصلت فعلا في الواقع حيث وصف النبي ﷺ حدث نزول الوحي بدقة منقطعة النظير و لعل قوة اللفظ هي من قوة المعنى وهذا ما أشار إليه "ابن جني" بقوله:" منه قولهم: خشن و اخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين و زيادة الواو...و كذلك قولهم: أعشب المكان، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا: اعشوشب" (ابن جني، د.ت، ص 268) و مثل ذلك "صل" و"صلصل" حيث تكرر حرفا "الصاد" و "اللام" الأمر الذي جعل معنى الامتداد مناسبا لصلصلة الجرس الذي يتكرر صوته و إذا:" كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى به" (ابن جني، د.ت، ص371) و هذا إثبات آخر لما ذكرناه آنفا.

تجتمع في حرف الصاد جملة من الصفات الفيزيائية التي تجعله يدل على عظيم الحال التي وقعت للنبي ﷺ فهو من أكثر الأصوات تعبيرا عن شدة الموقف و صعوبته، كما أنه يتمتع بطاقة حسية شعورية تحاكي ما حصل بالفعل أثناء نزول الوحي على الرسول ﷺ وصلصل الشيء هو صوت بترجيع" (عباس، 1998،ص 150) أي تكرير.

و المثير في الأمر هو أن حجاجية التكرار تكمن في مطابقة اللفظ لصفات حروفه؛ وحسب الدراسات التي أجريت على هذا الحرف فقد توصل "حسن عباس" إلى أنه يعد حرفا من الحروف الشعورية يقول:" لقد صنفت الحرف الصفيري شعوريا، لجمال صوته و عذوبة موسيقاه، و لما يثيره في النفس من إيحاءات النقاء و الصفاء و الطهارة والبراءة و العزة و قوة الشكيمة،" (عباس، 1998،ص 151) و هي الصفات التي نعتقد أنها صاحبت الرسول ﷺ أثناء نزول الوحي؛ إنها لحظات صفاء و طهارة و لحظات قوة و بأس في ذات الوقت، وقد خلص البحث عن صفات الحروف و مراتبها من القوة و الضعف والليونة والصلابة...إلى دلالات أكثر عمقا من التي اعتدنا سماعها و قراءتها:" و مما يدعو للدهشة، أننا لم نعثر في هذه المصادر جميعا على أي معنى من معاني البذاءة أو القذارة أو النتانة أو الفحش، أو مما يدخل في مضمار التشوهات النفسية و العقلية والجسدية،" (عباس،1998،ص153) و هو إعجاز لفظي يدل مرة بعد مرة على صدق نبوته ﷺ.

زد على ذلك؛ فإن الوحي قد أنزل من السماوات السبع التي يستمد منها النور والضياء و هي:" محشوة من الملائكة لو قيست شعرة ما انقاست، منهم الراكد و الراكع والساجد ترعد فرائصهم و تضطرب أجنحتهم خوفا من الله و لم يعصوه طرفة عين وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مخه مسيرة مائة عام" (الأصبهاني، 1988،ص 964) و هو شرف عظيم قد خص به نبينا الكريم ﷺ.

كما أن الرسول الذي كلف بالوحي هو من الملائكة التي خلقت من النور و هو أفضل الملائكة، وما أدهشنا في صفات حرف الصاد هو ذلك التطابق بينها و بين المعاني التي ورد فيها، و الملك الذي بعث إلى الرسول ﷺ هو سيدنا جبريل عليه السلام و

هو من أفضل الملائكة إنه من المقربين الذين ذكرهم الله في القرآن الكريم و هو يتصف بصفات القوة كما أن جبريل هو من أقرب الملائكة إلى الرسل.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى قد أنزل الوحي على النبي ﷺ في أطهر بقاع الأرض مكة المكرمة التي يقع فيها "جبل النور" الذي يوجد فيه غار حراء مكان تعبده صلوات الله عليه من قبل أشرف و أطهر و أنبل الرسل إنه الملك جبريل عليه السلام و تجانس عجيب بين معاني الحرف و دلالته و تجسيده في الواقع؛ و قد توسط الصاد الكلمة وتكرر وهي حجة مؤكدة على عظيم حالة الوحي التي وقعت للنبي ﷺ:" فلئن كانت الحروف العربية قد أثرت في معاني معظم المصادر التي يتوسطها حرف الصاد، فإن هذا الحرف قد حماها جميعا و حصنها من كل ما هو ناب و قبيح من المعاني، ليكون حرف الصاد بذلك من أنبل الحروف العربية." (عباس،1998،ص 154)

2.4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في اللفظة:

لقد كثر توظيف التكرار في الحديث النبوي، لا سيما في اللفظ و هي صورة من الصور الحجاجية الواردة في المدونة التالية:

1-عن أبي هريرة رضي الله**جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ. وفي حَدِيثِ قُتَيْبَةَ: مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي وَلَمْ يَذْكُرِ النَّاسَ**" (مسلم، رقم 5971)

إن تكرار لفظة أمك لم يكن لمجرد التكرار بل للحجاج بأحقية صحبة الأم على الأب وإن كان الله سبحانه و تعالى قد قال في محكم تنزيله:" و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة" و هذا من باب الإحسان لهما إلا أن خطاب النبي ﷺ لم يخرج عن هذا الأمر وإنما جاء التكرار فيه للترغيب في الرحمة بالأم فهي من حملته و هنا على وهن و هي من سهر عليه و بذلك هي من يستحق البر و الحنان أكثر:" و لذلك نرى أن تكرار اللفظ النبوي في الجواب حتى ذكر ثلاث مرات كالتنبيه لهذه الثلاث: الحمل كرها، و الوضع كرها، و الفصال و ما فيه من المشاق فإذا لوحظ أن السائل كان يعطف جملة السؤال ب(ثم) نشعر من صنيعه أنه كان يريد النقلة بعيدا عن الأبوين، ظنا منه أن عرفان حقهما أمر مفروغ منه فكان تصدير الجواب بنفس الأداة انتقالا بالسائل إلى مرحلة أبعد مما يعرف من حق الأم لأنه أعلى من صورة عامة تدور في خلده، فالجنة تحت أقدام الأمهات " (عز الدين، 1984،ص91) إن اللافت في خطاب النبي ﷺ هو خلو الجواب الرابع المتمثل في أبوك من التكرار الذي خصه بالأم.

3.4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في العبارة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال » :**رَغِمَ أَنْفُ، ثم رَغِمَ أَنْفُ، ثم رَغِمَ أَنْفُ من أدرك أبويه عند الكِبر، أحدهما أو كِليهما فلم يدخل الجنة**" (مسلم، رقم 2551) حيث تكررت عبارة رغم أنفه التي زخرت بحمولة حجاجية مؤكدة منزلة بر الوالدين و خطورة العاق لهما و العقوبة التي تنتظره في الآخرة؛ إن المتمعن في خطاب النبي ﷺ يدرك وللوهلة الأولى أن الجملة التي ورد فيها الفعل الماضي جاءت لتأكيد الوقوع حتى لو لم تتكرر العبارة ولكن الرسول ﷺ كررها:" حتى يخفق قلب السامع، ويستولي عليه الرعب و الفزع إشفاقا على نفسه، أن يكون ذلك الراغم الأنف، و قد أبهم الحديث بيانه فأضمره غائبا قبل الذكر حتى يستثير النفس بالانتباه، و النفس طلعة بطبعها إلى من يصدر عليه الحكم، و قد فزع الصحابي لأنه لا يطيق الانتظار، فبادر بالسؤال فأجابه عليه السلام إن هذا المحروم الشقي هو عاق الوالدين أو أحدهما عند الكبر، و هو يزيد ذلك توكيدا من قبل اللزوم، فينسب إدخاله الجنة أو عدم إدخاله إلى الوالدين كأنهما يملكانه تماما."(عز الدين، 1984، ص81)

4.4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في المعنى:

تستأثر البنية التحتية للتكرار في الحديث النبوي بطاقة حجاجية برهانية تظهر الإعجاز البياني للنبيﷺحيث تتجلى وظيفته في تكرار المعنى و هذا بإعادة الحجة لا باللفظ بل بالمضمون و سنبين ذلك فيما يأتي:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا." قَالَ الْفِرَبْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبَّاسٌ قَالَ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ هِشَامٍ نَحْوَهُ (البخاري، رقم 91)

عندما نقرأ الأفكار الواردة في هذا الخطاب تتبادر إلى أذهاننا من القراءة الأولى الجملتين المتعاقبتين على أنهما مختلفتين من حيث المعنى بعد تمحيص النظر سيتبين لنا ما حصل هو نوع من التكرار المعنوي مع أن ظاهر الأمر يبدو غير ذلك لأن الفكرة واحدة والألفاظ مختلفة، و لذلك يبين لنا النبي ﷺمن خلال خطابه أن تصوير مشاهد الظلال و الجهل لا تحصل بقبض العلم و إنما بقبض العلماء و هي فكرة أقرها شراح الحديث حيث لا يقبض العلم بل ينتزع انتزاعا بقبض العلماء الذين يحملون نور الحقيقة و حينها يتصدر الجهال المجالس للفتوى فيضلوا الناس ضلالا كبيرا.

5.4. الوظيفة الحجاجية للتكرار في الأداة:

تتمتع الأساليب البلاغية العربية بالقدرة على التقرير بالتكرير و هي في ذلك تتكأ على العديد من الركائز منها الاستراتيجيات الحجاجية و الأدوات اللغوية الصريحة منها و المضمرة و هذا بغية إقناع المخاطبين أو إفحامهم و لا شك أن الحديث النبوي قد اهتم ببيان الوظيفة الحجاجية من خلال تكرار الأدوات و هذا ضرب منها:

-أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ يَومَ النَّحْرِ فَقالَ: يا أيُّها النَّاسُ أيُّ يَومٍ هذا؟، قالوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قالَ: فأيُّ بَلَدٍ هذا؟، قالوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قالَ: فأيُّ شَهْرٍ هذا؟، قالوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قالَ: فإنَّ دِمَاءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، فأعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ - قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنْهُمَا: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إلى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ. (البخاري، رقم 1739)

إن من يقرأ التاريخ يعلم أن حجة الوداع هي أعظم حجة و أفضلها لأن فيها أقيمت الشعائر و فيها عظمت الحدود و فيها أنذر البشر، في حجة الوداع هذه اجتمع خلائق لا يحصون عددا فكاموا من بين يدي النبي و من يمينه و عن شماله مد البصر.

جاء ذلك في حديث جابر رضي الله عنه في وصف النبي ﷺ عندما سأله أحدهم أخبرني عن حجة رسول الله فقال ﷺ بيده فعقد تسعا فقال إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله و ﷺ يعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الخليفة...فصلى رسول الله فيﷺ المسجد ثم ركب القوصاء حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش و عن

يمينه مثل ذلك و عن يساره مثل و من خلفه مقل ذلك و رسول الله ﷺ بين أظهرنا و عليه ينزل القرآن و هو يعرف تأويله و ما عمل به من شيء عملنا به فأهل بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك." (مسلم، رقم 1218)

إن من يستحضر فصول هذا المشهد المهيب يتيقن أن تكرار أداة الإشارة "هذا" لم يكن عبثا و الرسول أبلغ البلغاء، إنها القوة الحجاجية المتفرعة من بنية خطبة حجة الوداع التي تضمنت إشارات عظيمة إلى حرمة الدماء و الأموال و الأعراض؛ فمن مقاصد شريعة الإسلام في الحدود و المعاملات حفظ النفس و حفظ المال و حفظ النسب، وليبين لنا الرسول ﷺ عظم هذه الحدود أتبع حرمة النحر و حرمة مكة و حرمة شهر ذي الحجة بأداة الإشارة "هذا"، و المعلوم أن الوصف:" باسم الإشارة مزية يلمسها الذوق، لأنه يجسم المعاني المعقولة و ينقلها إلى حيز الموضوع تحت البصر و المشار إليه بالبنان، فإذا كان المشار إليه محسا زاده تمييزا و انكشافا بتوجيه السامع إليه لزيادة اهتمام المتكلم به، في مقام يستدعي ذلك" و المقام الذي استدعى ذلك هو مقام تحذير من تعدي تلك الحدود و الدليل على ذلك هو ربط حرمتها بحرمة الزمان و المكان.

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة و إنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ولحرمة هذا اليوم ذكره الله في منزلة تحكيمه بقوله تعالى: "و شاهد ومشهود" و هو ما اتفق عليه جمهور المفسرين فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: اليوم الموعود يوم القيامة، و الشاهد يوم الجمعة، و المشهود يوم عرفة أما عن حرمة شهر ذي الحجة فقد روي عن ابن عباس هن النبي ص أنه قال: "ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه قالوا: و لا الجهاد؟ قال: و لا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه و ماله فلم يرجع بشيء."

(مسلم، رقم 1348)

و المقصود بها الليالي العشر من ذي الحجة، أما عن حرمة مكة التي اصطفاها منذ خلق السماوات و الأرض فيقول الله تعالى:" إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها و له كل شيء و أمرت أن أكون من المسلمين". (سورة النمل، رقم 91)

و دل على ذلك أيضا حديث رسول الله عن ابن عباس رضي عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة:" إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات و الأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة". (البخاري، 1838)

5. خاتمة:

صفوة القول هي أن حجاجية التكرار في الحديث النبوي اتسمت بالعديد من الأوجه البلاغية ذات الصبغة التداولية والخصوصية التي تفرد بها التي ﷺ هي المقاصد العميقة و الفصاحة المنقطعة النظير، و مما جاء في ثنايا هذه المداخلة تبين أن وظيفة التكرار هي وظيفة حجاجية في جميع جوانبها و التوصيات التي نقدمها في هذا المقام ليست استثناء مرتبطا بهذا البحث بل هي عملية تجتمع محاسنها في عديد المقالات التي تتداخل مع موضوعنا هذا، إن التمعن في البلاغة العربية يكشف لنا عن مناقب القراءة التداولية و الحجاجية لدواوين و أشعار العرب بما فيها النثر و نحن من هذا الموضع ندعو الباحثين إلى تحرير أقلامهم و الالتفات إلى مدونة الحديث النبوي لدراسة مختلف الصور الحجاجية الإقناعية الماثلة فيها، وفي ختام هذا البحث نقترح على الدارسين البحث في الأحاديث النبوية عن آليات و أساليب حجاجية أخرى من المنظور التعليمي لأنها مدونة ثرية تغري الباحث للكشف عن مناقبها و الغوص في ثناياها.

6. قائمة المراجع:

- ابن عاشور محمد الطاهر،(1984)، تفسير التحرير و التنوير، الجزء 2، تونس، الدار التونسية للنشر.
- ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، المجلد 2، القاهرة، دار المعارف.
- الأصبهاني، (1408هـ-1988م) العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، العدد 3، الرياض، دار العاصمة.
- البخاري، صحيح البخاري، (2002)، الطبعة 1، دمشق، دار ابن كثير.
- الجاحظ، (1998)،البيان و التبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، الجزء 1،القاهرة، مكتبة الخانجي.
- الجلماسي،(1980)، المنزع البديع، تحقيق: علال الغازي، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة.
- السكاكي، مفتاح العلوم، (2000)، بيروت، الطبعة 1، دار الكتب العلمية.
- السيوطي جلال الدين،(1418هـ-1998م)،المزهر في علوم اللغة و أنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة 1،بيروت، دار الكتب العلمية.
- الرافعي مصطفى صادق،(1393هـ-1973م)، اعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الطبعة 9،بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزبيدي زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، مختصر صحيح البخاري، القاهرة، دار الهيثم.
- خرفي خيرة،(2014)،حجاجية التكرار في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة وهران، الجزائر.
- عباس حسن،(1998)،خصائص الحروف العربية و معانيها -دراسة-، دمشق، اتحاد الكتاب العرب.
- عز الدين كمال،(1404هـ-1984م)، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، بيروت، دار اقرأ،
- مسلم، صحيح مسلم، (2006)،الطبعة 1،الرياض، دار طيبة.
- مونسي حبيب،(2005)، الواحد المتعدد النص الأدبي بين الترجمة و التعريب، الجزائر، دار الغرب.